

شرح مختصر  
للأذكار التي تقال صباحاً ومساءً

من كتب  
فضيلة الشيخ العلامة  
محمد بن صالح العثيمين  
رحمه الله تعالى

جمع وترتيب  
مساعِد بن عبد الله السلمان

الطبعة الثانية

١٤٤٣ هـ / ٢٠٢١ م



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . أما بعد:  
فهذا شرح مختصر للأذكار التي تقال صباحاً ومساءً، جمعته  
لك -أخي القارئ الكريم - من كتب شيخنا العلامة محمد بن  
صالح العثيمين رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى، رجاء الانتفاع به.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الأذكار التي تقال صباحاً ومساءً

١. ﴿الْم ١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ (البقرة: ١-٥).

٢. ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ (البقرة: ٢٥٥).

٣. ﴿ءَا مَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَا مَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ ۚ وَكُتُبِهِ ۚ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا

طَاقَةً لِنَابِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ (البقرة: ٢٨٥-٢٨٦).

٤. ﴿حَمَّ ١﴾ تَزِيلُ الْكِنْدِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ

شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ [غافر: ١-٣].

٥. ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ

الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ

﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ (الحشر ٢٢-٢٤).

٦. ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ١﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ

بِرَبِّ النَّاسِ ١﴾ (السورة كاملة ثلاث مرات).

٧. أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق (ثلاث مرات).

٨. بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في

السماء وهو السميع العليم. (ثلاث مرات).

٩. رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً.

(ثلاث مرات).

١٠. أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير رب أسألك خير ما في هذا اليوم وخير ما بعده وأعوذ بك من شر ما في هذا اليوم ومن شر ما بعده رب أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر وأعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر. وفي المساء يقول أمسينا وأمسي الملك لله ويقول: رب أسألك خير ما في هذه الليلة .. إلخ بدلاً من: (أصبحنا وأصبح) وعن: (هذا اليوم).

١١. اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور. وفي المساء يقول: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نموت وبك نحيا وإليك المصير.

١٢. اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر. وفي المساء يقول: ما أمسي بي.

١٣. اللهم إني أصبحت في نعمة وعافية وستر فأتهم نعمتك عليّ وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة (ثلاث مرات) وفي المساء يقول اللهم إني أمسيت الخ.

١٤ . اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين ومن قهر الرجال.

١٥ . اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن اغتال من تحتي.

١٦ . اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

١٧ . اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وأن اقترف على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم.

١٨ . اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك  
وأنبياك وجميع خلقك بأنك أنت الله لا اله إلا أنت وأن  
محمدًا عبدك ورسولك . وفي المساء اللهم إني أمسيت ..

الخ (أربع مرات)

١٩ . لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو  
على كل شيء قدير (مائة مرة) في الصباح والمساء .

٢٠ . حسبي الله لا اله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم  
(سبع مرات).

٢١ . حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعاء ليس وراء الله مرمى .

٢٢ . سبحان الله وبحمده (مائة مرة) في الصباح والمساء . أو  
فيهما جميعاً .

٢٣ . استغفر الله وأتوب إليه . (مائة مرة) .

هذا ما تيسر كتابته أسأل الله تعالى أن ينفع به كاتبه محمد صالح  
العثيمين رَحِمَهُ اللهُ ١٤١٨ هـ .





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ  
بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ  
وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ  
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ (البقرة: ١-٥).

### الشرح

في هذه الآيات يقول الله **عَزَّجَلَّ**: **﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾**؛ وهو القرآن الكريم، وأشار الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إليه بإشارة البعيد؛ لعلو مرتبته، وعظيم منزلته؛ فإنه كلام الله **عَزَّجَلَّ** الذي أنزله على رسوله محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وقد وصفه الله - تعالى - في القرآن بأوصاف عظيمة بالغة، وسماه الله كتاباً؛ لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ، ومكتوب في الصحف التي بأيدي الملائكة، ومكتوب في الصحف التي بأيدينا.

وقوله تعالى: **﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾**؛ أي: ليس فيه ريب ولا شك؛ لأنه حق نازل من عند الله، وفي قوله: **﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾**؛ أي: الذين اتقوا عذاب الله **عَزَّجَلَّ** بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

وقوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾؛ أي: الذين يؤمنون بما غاب عنهم، لإخبار الله تعالى به ورسوله، ﴿وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾؛ أي: يأتون بها قائمة مستقيمة على وفق الشريعة، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾؛ أي: ينفقون مما رزقهم الله؛ من الزكوات الواجبة، والصدقات المستحبة، والنفقات اللازمة.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾؛ أي: من الكتب المنزلة على الرسل؛ مثل التوراة والإنجيل، والزيور، ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾؛ أي: إيقاناً كاملاً لا مرية فيه.

﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾؛ أي: على صراط مستقيم وعلم نافع، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾؛ أي: الذين اهدوا بهداية الله عزَّجَلَّ؛ واتبعوا ما أنزل الله؛ فأصبح مآلهم هو الفلاح؛ والفلاح هو حصول المطلوب والنجاة من المرهوب<sup>(١)</sup>.



﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ

(١) انظر تفسير سورة البقرة ٢١/١ . وأحكام من القرآن الكريم ٤١/١ .

أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ<sup>ط</sup> وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ  
كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

(البقرة: ٢٥٥).

### الشرح:

هذه آية عظيمة، هي أعظم آية في كتاب الله. (سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبي بن كعب: أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال: يا رسول الله، آية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. فضرب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على صدره، وقال: «ليهنك العلم أبا المنذر». وإنما ضرب على صدره لأن الصدر محل القلب، والقلب محل الوعي.

### ■ وهذه الآية لها خصائص، منها:

١. أنها أعظم آية في كتاب الله.
٢. أن فيها اسم الله الأعظم (الحي القيوم).
٣. أنها اشتملت على جمل عظيمة، كل جملة تحمل أسفاراً.
٤. أن من قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

جاء ذلك في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استحفظه على زكاة الفطر، فجاء شخص بصورة إنسان فقير، فأخذ من الطعام، فأمسكه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: لأرفعنك إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فادعى هذا الشخص أنه فقير وذو عائلة، فَرَقَّ له أبو هريرة، وتركه. فلما أصبح أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذهب إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له - أي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما فعل أسيرك البارحة؟» لأن أبا هريرة أمسكه - أي: أسره -.. قال: يا رسول الله، ادعى أنه فقير وذو عيال فأطلقته. قال: «إنه كذبك وسيعود». يقول أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فعلت أنه سيعود؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: سيعود، فعاد في الليلة الثانية، وصارت الليلة الثانية كالأولى، ولم يأت به أبو هريرة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أخبره أنه سيعود لم يقل له: إن عاد فأت به. فعلم أبو هريرة أن الأمر واسع، فأطلقه الليلة الثانية.

وفي الليلة الثالثة - والعادة أن الثلاث يثبت بها الأمر - أمسكه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: لا بد أن أرفعك إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقال له الشيطان: ألا أدلك على آية تقرؤها فلا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح؟ قال: بلى. قال: آية

الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ فلما أصبح أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بما جرى، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أما إنه صدقك وهو كذوب» أي: أخبرك بالصدق، وليس من عادته الصدق، لكن الله تعالى أنطقه به وهو كذوب.

ففي هذا دليل على أن الإنسان إذا قرأ هذه الآية لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان، وليت الناس انتبهوا لهذا واستمروا في قراءتها حتى يكون عليهم من الله حافظ، ولا يقربهم الشيطان حتى يصبحوها.

نعود إلى تفسير كلماتها: يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ أي: لا معبود حق إلا هو، فكل ما عبد من دون الله فهو باطل، لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَبْ مَائِدَعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ (الحج: ٦٢) فمن عبد حجراً أو شجراً أو شمساً أو قمراً أو نبياً أو غيره، فقد عبده بغير حق.

﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ الحي: لم يقل: الله لا إله إلا هو حي قيوم؟ قال: الحي، و«ال» تفيد الكمال والعموم، أي: الكامل الحياة. فهو جَلَّ وَعَلَا حي لا يموت، كما قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ (الفرقان: ٥٨) وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرْزَلِي، أي: لم يزل حياً. حياته



أيضاً كاملة من حيث الصفات، فهو كامل في سمعه، في بصره، في علمه، في قدرته، في كل شيء من صفاته. إذن فحياته كاملة من جهة الابتداء والانتها والصفات. في الابتداء: لا ابتداء له. في الانتها: لا نهاية له. في الصفات: كل صفاته كمال.

﴿الْقِيَوْمُ﴾: من قام، أي: القائم بنفسه، القائم على غيره. فهو قائم بنفسه لا يحتاج إلى أحد أبداً؛ لا يحتاج إلى أحد في طعام ولا شراب ولا غير ذلك، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (الرعد: ٣٣) يعني: كمن لا يستطيع ذلك؟ من القائم على كل نفس بما كسبت؟ هو الله عزَّوجلَّ، فهو قائم على غيره، كما أنه قائم بنفسه، فلا يحتاج إلى أحد، وكل أحد محتاج إليه.

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾: لا تأخذه: أي: لا يمكن أن ينام، ولا أن ينعس، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ».

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: له وحده، وإنما قلنا وحده لأن «له» خبر مقدم، و«ما» مبتدأ مؤخر. قال العلماء: وتقديم ما حقه التأخير من خبر أو مفعول أو متعلق يفيد الحصر، فعلى هذا يكون: له، أي: لا لغيره.

﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: ما في السموات من أعيان وأوصاف، ولهذا جاءت ﴿مَا﴾ دون (من) للإفادة أن كل ما في السموات وما في الأرض من أوصاف أو أعيان فهو لله عزَّجَلَّ. والسموات أوسع من الأرض بكثير، وقد أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه ما من موضع أربع أصابع من السماء إلا وفيه ملك قائم لله أو راعٍ أو ساجد.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ هذا استفهام بمعنى النفي. يعني: لا أحد يشفع عند الله - مهما كانت منزلته عند الله - إلا بإذن الله. حتى الوسطاء الذين يريدون الخير لغيرهم لا يمكن أن يحصل لهم ذلك إلا بإذن الله عزَّجَلَّ، وذلك لكمال سلطانه وملكوته وعظمته، لا أحد يتكلم حتى فيما فيه خير للغير إلا بإذن الله عزَّجَلَّ.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ «ما» موصول يفيد العموم، أي: كل ما بين أيديهم يعلمه الله عزَّجَلَّ، والمراد به الحاضر والمستقبل، فالحاضر بين يديك، والمستقبل بين يديك.

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما مضى، فبعلمه ما مضى لا ينسى، وبعلمه ما يستقبل لا يجهل، كما قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين سأله فرعون: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَصِلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾ (طه):

٥١-٥٢). إذن ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: الحاضر والمستقبل. ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: الماضي، وما شأن علم الإنسان إذا كان علم الله محيط بكل شيء؟

يقول الله عز وجل: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ لا يحيطون: يعني الخلائق. ﴿بِشَيْءٍ﴾ أدنى شيء من علمه. ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾؛ أي: إلا بالذي يشاؤه جل جلاله، فالله تبارك وتعالى هو الذي يعلم من يشاء من عباده من أمور الغيب وأمور الشاهد.

وقوله: ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾؛ أي: إلا بما شاء أن يحيطوا به، فيعلمهم به. ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ يعني: أحاط بها، بالسموات والأرض.

والكرسي فسره ابن عباس رضي الله عنهما بأنه موضع القدمين، أي: قدمي الرب عز وجل، فهو بالنسبة للعرش كالمقدمة. ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، وإذا كان الكرسي وسع السموات والأرض، فالعرش من باب أولى، لأن العرش أعظم وأكبر من الكرسي.

﴿وَلَا يَتَّوَدُّهُ حِفْظُهُمَا﴾ لا يتووده: أي لا يثقله. ﴿حِفْظُهُمَا﴾ أي: حفظ السموات والأرض. وذلك لسعة علمه وكمال عظمته جل وعلا، فإن ما في السموات وما في الأرض لا يثقل الله سبحانه وتعالى حفظه، بل



ذلك سهل عليه، يسير عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (٢٥٥) العلي: من العلو، يعني العالي فوق عباده، العالي المنزلة، فهو عالي المكان عالي المنزلة جَلَّ وَعَلَا.

﴿الْعَظِيمُ﴾ (٢٥٥) يعني: ذو العظمة والسلطان وكمال القدرة والحوول وما إلى ذلك (١).

﴿ءَا مَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَا مَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ ۚ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٢٨٥) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۗ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة ٢٨٥-٢٨٦).

### الشرح

﴿ءَا مَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ﴾: الرسول: هو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه لا رسول حين إنزال القرآن إلا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وهو خاتم الرسل، خاتم الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤٠).

(١) انظر تفسير سورة البقرة ٣/ ٢٥٠. وأحكام من القرآن الكريم ٢/ ٢٤٦.

﴿بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ : يشمل : ما أنزل إليه من القرآن الكريم، وما أوحى إليه من السنة النبوية، كما قال الله عزَّ وجلَّ ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ (النساء: ١١٣).

وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ : معطوفة على الرسول، أي: وآمن المؤمنون كذلك بما أنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿كُلُّ﴾ ؛ أي: كل من الرسول و المؤمنين آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله.

﴿ءَأْمَنَ﴾ ؛ أي: أقر إقراراً تاماً لا شك فيه ولا ريب فيه، بالله وملائكته وكتبه ورسوله. الإيمان بالله يتضمن الإيمان بوجوده، والإيمان بأنه الرب وحده، وبأنه الإله وحده، وبأنه ذو الأسماء الكاملة والصفات الكاملة من كل وجه، فهو يشمل كل هذه الأربعة.

﴿وَمَلَائِكَتِهِ﴾ : جمع ملك، وهم - أعني الملائكة - عالم غيبي لا يُشاهد. اللهم إلا أن يقع ذلك آية يأتي بها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وهؤلاء الملائكة لا يحصي عددهم إلا الله. منهم من علمنا، ومنهم من لم نعلم.

فَنُوْمُنَ بِمَنْ عَلَّمْنَا عَلَىٰ حَسَبِ مَا عَلَّمْنَا. وَنُوْمُنَ بِمَنْ لَمْ نَعْلَمْ  
عَلَىٰ وَجْهِ الْإِجْمَالِ.

﴿وَكُتُبِهِ﴾؛ يعني: التي أنزلها الله على الرسل، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى:  
﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ  
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ (البقرة:  
٢١٣)، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ  
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥).

الكتب: منها ما علمناه، ومنها ما لم نعلمه. فالتوراة علمنا أن  
الله أنزلها على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والإنجيل علمنا أن الله أنزله على  
عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والزبور آتاه الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ آتاه  
الله صحفًا، وموسى كذلك، وما لم نعلم نؤمن به على سبيل  
الإجمال.

﴿وَرُسُلِهِ﴾: جمع رسول. وهم رجال أوحى الله إليهم بما شاء  
من شريعته، وأمرهم أن يبلغوه إلى الناس، قال الله تعالى لمحمد  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو خاتمهم: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ  
تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (المائدة: ٦٧).

وهم قسمان: قسم علمناهم بأعيانهم وعلمنا أقوامهم، وقسم لم نعلمهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَكَ بِثَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (غافر: ٧٨). فنؤمن بهم على هذا الوجه: على وجه التفصيل فيمن علمناه، وعلى وجه الإجمال فيما لم نعلمه.

﴿لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾: معنى لا نفرق، أي: في الإيمان بهم، بل نؤمن بهم جميعاً - وإن كنا نفرق بينهم في التفاضل - فإن الله قال في كتابه العظيم: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ﴾ (الإسراء: ٥٥)، وقال عز وجل: ﴿تِلْكَ أَلْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (البقرة: ٢٥٣). فنفرق بينهم من هذه الناحية. ونفرق بينهم أيضاً من جهة العمل بشرائعهم، فلا نعمل بشريعة سوى شريعة محمد ﷺ؛ لأن شريعته ناسخة لجميع الشرائع.

﴿وَقَالُوا﴾؛ أي: قال الرسول والمؤمنون.

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾؛ أي: سمعنا ما أمرتنا به يا ربنا، وما أخبرتنا

عنه يا ربنا.

وأطعنا أوامرنا بامثال الأوامر واجتناب النواهي.

﴿عُفْرَانُكَ﴾: هذه مفعول لفعل محذوف مقدر. والتقدير: نسألك عفرائك.

ولهذا ينبغي للقارئ أن يقف عند قوله: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ ثم يقول: ﴿عُفْرَانُكَ﴾. لئلا يتوهم السامع أننا أطعنا الغفران.

والمغفرة: ستر الذنب والتجاوز عنه. ستر الذنب بحيث لا يُفْضَح به العبد. فإن العبد قد يعمل الذنب سرّاً ثم يطلع الله عليه الخلق - نسأل الله الستر - كذلك أيضاً لا يؤاخذ به يوم القيامة.

وجه هذا التفسير - أعني أن الغفران شامل لمعنيي الستر والمجازة - أنه مأخوذ من المغفر وهو ما يوضع على الرأس من حديد، يسمى البيضة أو الخوذة، يتقي به الإنسان السهام عند القتال. وهذا المغفر جامع بين ستر الرأس وبين وقايته، فلهذا قلنا: إن المغفرة ستر الذنب والتجاوز عنه.

وقول الرب **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذف منه ياء النداء. والتقدير: «يا ربنا». فهو دعاء.

﴿وَالَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٣٨٥): معطوف على: سمعنا وأطعنا، أو على الفعل المقدر قبل: ﴿عُفْرَانُكَ﴾:



إليك وحدك المصير. وإنما قلنا «وحدك» لأنه قدم المعمول وهو: "إليك"؛ على العامل، وهو: ﴿الْمَصِيرُ﴾. وتقديم المعمول على عامله يفيد الحصر والاختصاص، والمصير هو المرجع.

ثم قال الله عزَّجَل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ الآية.

يخبر الله عزَّجَل في هذه الآية الكريمة عن بيان منته على هذه الأمة - والله الحمد - بل وعلى غيرها من الأمم، فيقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ أي: لا يلزمها إلا بما تطيق؛ لأن الوسع بمعنى الطاقة. وما لا تطيقه فإنه لن يلزمها به؛ لأن رحمته سبقت غضبه، ولأنه أرحم بعباده من الوالدة بولدها.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾: وهذا هو العدل. ما كسبت من خير فهو لها، لن يضيع، ولن ينقص منه شيء. وما اكتسبت من الشر فعليها، لن يزيد، بل بالعدل. قال الله عزَّجَل: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (طه: ١١٢).

يقول عزَّجَل: ﴿بِنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾؛ أي: يا ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا. وهذه فرد من أفراد قول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. يعني: أن من آثار كونه عزَّجَل

لا يكلف نفساً إلا وسعها، أنه لا يؤاخذ بالنسيان والخطأ. وقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ هذه مقول لقول محذوف. والتقدير: «يقولون ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ - أي: لا تعاقبنا- ﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾».

يعني: إن وقعت المخالفة منا نسياناً أو خطأ. فالنسيان يكون بعد العلم، والخطأ قبل العلم. النسيان أن يكون عند الإنسان علم ثم يذهل عنه ويغيب عن فكره. والخطأ أن لا يكون عند الإنسان علم، يكون جاهلاً. فالخطأ بمعنى الجهل هنا.

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾: كرر قوله: ﴿رَبَّنَا﴾ لأهمية هذا الدعاء.

قوله: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ أي: لا تحملنا ولا تكلفنا بالإصر الذي كان على من قبلنا. والإصر: الشدة والمشقة؛ لأن من قبلنا من الأمم عليهم مشقة في بعض التكاليف: مثل: إذا عدموا الماء فإنهم لا يصلون بالتيمم، تبقى الصلوات في ذمهم، ولو بقوا شهراً كاملاً. فإذا وجدوا الماء تطهروا به، ثم قضوا ما فاتهم من الصلوات.

ولا شك أن هذا فيه مشقة. كذلك لا يصلون في كل مكان، إنما يصلون في المساجد الخاصة: الكنائس والبيع والصوامع. وهذه

مشقة إذا وجبت عليهم الصلاة في برية، ولو تطهروا بالماء فإنه لا يمكن أن يصلوا إلا في الكنائس ولو بقوا أشهراً، هذه مشقة.

ومن ذلك ما حرمه الله عَزَّوَجَلَّ عليهم من الطيبات بسبب ظلمهم كما قال الله تعالى: ﴿فِظْلِمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٦٠).

ومن ذلك ما ابتلي به النصارى من البدع والرهينة التي لم تفرض عليهم. لكن هم فرضوها على أنفسهم يبتغون رضوان الله. المهم أن المؤمنين من هذه الأمة يسألون الله أن لا يحمل عليهم إصراً كما حمله على الذين من قبلهم من اليهود والنصارى.

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾: أتى بالواو: ﴿وَلَا تَحْمِلْنَا﴾ عطفاً على قول الله: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا﴾: لأن الثاني من جنس الأول، أو قريب منه.

وقوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾؛ أي: ما لا نستطيعه من الأوامر التي تقع باختيارنا. وأما ما لا يقع باختيار الإنسان من الأمراض وشبهها، فهذا أمر يؤجر الإنسان عليه ويثاب عليه، أو يكون تكفيراً لسيئات مضت.



﴿وَأَعْفُ عَنَّا﴾: ما قصرنا فيه من الواجب.

﴿وَأَغْفِرْ لَنَا﴾: ما انتهكنا من المحرم.

﴿وَأَرْحَمْنَا﴾: بالتوفيق للاستقامة.

فهذه ثلاث جمل:

- العفو في التفريط بالواجب.

- المغفرة في ارتكاب المعصية.

- الرحمة في استقامة الحال.

﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾؛ أي: أنت الذي تتولى أمورنا، وأنت مرجعنا،

وأنت ناصرنا، كما قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ

وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (٤٠) ﴿(الأنفال: ٤٠)﴾

﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ يعني: اجعل لنا الغلبة

والنصرة على القوم الكافرين. إما بالآلات الحربية، وإما بالأدلة

الشرعية. هذه الآية من أفضل الآيات وأيسرها<sup>(١)</sup>.



(١) انظر تفسير سورة البقرة ٣/ ٤٤١. وأحكام من القرآن الكريم ٢/ ٣٦٤

﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴿٣﴾

شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَ الْمَصِيرِ ﴿٣﴾ ﴿غافر: ١ - ٣﴾.

### الشرح:

قوله: ﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ المراد بالكتاب هنا القرآن، مع أن الكتاب اسم جنس يحتمل أن تكون فيه أل للجنس فيشمل كل كتاب، ولكن الظاهر أن المراد بالكتاب هنا القرآن؛ لأن المقصود بذلك تقرير كون هذا القرآن الذي نزل على المكذبين من عند الله عَزَّجَلَّ.

وقوله ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أي تنزيل الكتاب من الله لا من غيره.

وقوله ﴿الْعَزِيزِ﴾ أي: ذو العزة، وعزة الله تنقسم إلى ثلاثة أقسام: عزة القدر وعزة القهر وعزة الامتناع، وهو كذلك في كل موضع جاء العزيز فهذا هو معناه، أي أنه ذو عزة، أما عزة القدر فمعناها أنه ذو شرف وسيادة، وأما عزة القهر فمعناها أنه ذو غلبة وسلطان، وأما عزة الامتناع فمعناه أنه ذو امتناع عن كل نقص وعب

وقوله ﴿الْعَلِيمِ﴾ أي: ذو العلم، وعلم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَ بمحدود لا أولاً، ولا آخرأً، ولا مقداراً، فعلم الله تعالى واسع

شامل لكل شيء، علم الله تعالى أزلي؛ أي: لم يسبقه جهل، علم الله تعالى أبدي؛ أي: لا يلحقه نسيان، فصار علم الله تعالى واسعاً شاملاً زمنياً وكيفاً، زمنياً أي: في المستقبل وفي الماضي، وكيفاً أي: أنه شامل لكل ما من شأنه أن يعلم.

وقوله ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ الغفر هو الستر مع الوقاية، ومنه المغفر: وهو ما يوضع على الرأس عند الحرب لاتقاء السهام، ومعلوم أن المغفر ساتر، فهو جامع بين الستر والوقاية، و﴿الذَّنْبِ﴾: المعصية، يقال: أذنب الرجل إذا عصى، ومعنى ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾؛ أي: ساتره المتجاوز عنه.

وقوله ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ قابله: معناها: أن من تاب إلى الله قبل الله توبته، و﴿التَّوْبِ﴾ بمعنى: الرجوع إلى الله عَزَّجَلَّ من معصيته إلى طاعته.

وقوله: ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ أي: أنه هو نفسه عقابه شديد وهو كذلك، فإذا كان العقاب شديداً لزم أن يكون الألم - ألم من عوقب - شديداً أيضاً، والعقاب مأخوذ من المعاقبة وهي المجازاة، وسميت المجازاة عقاباً؛ لأنها تعقب العمل، لكنها تذكر غالباً فيما يسوء لا فيما يسر.

وقوله ﴿ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٣)</sup> ذي: بمعنى صاحب، والطول هو الغنى الواسع، ومن تمام الغنى أن يكون منعماً، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُنْعِمٌ وَاسِعُ الْغِنَى.

وقوله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ سبق معناها في آية الكرسي.

وقوله ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ الجملة خبرية مكونة من مبتدأ وخبر، والخبر فيها مقدم، وإذا قدم الخبر أفاد التخصيص والحصص؛ ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: إلى الله وحده، ﴿الْمَصِيرُ﴾ المرجع، وهل المراد بقوله: «إليه المصير» أي المرجع في كل شيء أو ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ بعد الموت؟ الجواب ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ في كل شيء، فإليه المرجع في الحكم بين الناس، إليه المرجع في تدبير الأمور، إليه المرجع بعد الموت، إليه المرجع في كل شيء، ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]<sup>(١)</sup>.



(١) انظر تفسير سورة غافر ص ٣٩.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ (الحشر ٢٢-٢٤).

### الشرح:

قوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ سبق معناها في آية الكرسي.

قوله: ﴿عِلْمُهُ الْغَيْبِ﴾ المراد به الغيب المطلق؛ لأن الغيب نوعان: غيب نسبي وغيب مطلق، والغيب: كل ما غاب عن الإنسان

فالغيب المطلق يختص الله بعلمه، والغيب النسبي يختص بعلمه من لم يكن غيباً عنده.

فمثلاً: أنت الآن لك أشغال في نفسك، فهي بالنسبة لي غيب، وبالنسبة لك شهادة، والغيب الذي اختص الله به هو الغيب المطلق،

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

فمن ادعى أنه يعلم الغيب فهو كافر؛ لأنه مكذب لله عَزَّوَجَلَّ في

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

فلو قال مثلاً: سيكون غداً كذا وكذا، قلنا: هذا كافر؛ فهذا كافر إذا قال: أنا أعلم ما يكون في غدٍ، أما إذا قال: أنا أتخرص، وبناءً على الحوادث والمجريات أقول: سيكون غداً كذا وكذا، فهل هذا ادعى علم الغيب؟ لا، ولو قال: سيقدم فلان غداً، بناءً على ما جرى من الأحوال، فهذا ليس علم الغيب، لكن لو قال: أنا أجزم أن سيكون كذا وكذا غداً، وأعلم ذلك كما أعلم الحاضر، قلنا: هذا كذب وهذا تكذيب للقرآن.

قوله: ﴿وَالشَّهَادَةَ﴾ أيضاً يعلم **عَزَّجَلَّ** الشهادة، فلا يخفى عليه شيء، لا مشاهد ولا غائب.

قوله: ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ الرحمن اسم من أسماء الله، والرحيم كذلك اسم من أسماء الله، فهذان اسمان عظيمان ختمت بهما البسملة: بسم الله الرحمن الرحيم، ومعناهما: ذو الرحمة.

لكن الأول باعتبارها وصفاً، والثاني باعتبارها فعلاً؛ وذلك أن رحمة الله وصف وفعل، فهو ذو رحمة وهو يرحم، قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [العنكبوت: ٢١]. وبناءً على هذا فليس في ذلك تكرار،



يعني إذا قلنا: الرحمة الدال عليها الرحمن هي رحمة باعتبارها و صفاً، والرحمة الدال عليها الرحيم هي رحمة باعتبارها فعلاً، حينئذ نقول ليس في الجمع بين هذين الاسمين تكرار.

فالرحمة صفة ذاتية لله **عَزَّجَلَّ** باعتبارها و صفاً لله تعالى، ومعنى «صفة ذاتية» أي: أنها من الصفات اللازمة أبداً وأزلاً، فهو لم يزل ولا يزال رحيمًا، وهي باعتبار تعلقها بالمرحوم صفة فعلية؛ لأن الله تعالى يرحم فلانًا ولا يرحم فلانًا، وكل شيء يكون كذلك فهو من الصفات الفعلية.

إذن الرحمة صفة ذاتية لله **عَزَّجَلَّ** باعتبارها و صفاً و فعلية باعتبار تعلقها بالمرحوم.

قوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ تأكيد للجمله الأولى ﴿الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

قوله ﴿الْمَلِكُ﴾ أي: ذو الملك المتضمن للسيطرة الكاملة والسلطان التام ولهذا كان الملك أقوى من المالك والأصل في الملك أن يكون مالكا، لكن قد يكون ملكاً بلا ملك، أما المالك فهو مالك لكن ليس بملك .

قوله ﴿الْقُدُّوسُ﴾ معناه: الطاهر من كل أذى عَزَّجَلَّ فهو سبحانه الطاهر عن كل عيب وكل نقص، وهو بمعنى ﴿السَّلَامُ﴾ أو القريب منه.

قوله ﴿السَّلَامُ﴾ يعني السالم من كل نقص حقيقي، أو متوقع أو وهمي يعني سالم من كل نقص لا في الحاضر، ولا في الغائب، ولهذا كان أخص من ﴿الْقُدُّوسُ﴾، وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يقولون في التشهد: (السلام على الله من عباده، السلام على جبريل، السلام على ميكائيل، السلام على كذا وكذا وفلان وفلان فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاتقولوا السلام على الله من عباده؛ لأن الله هو السلام». وأنت إذا قلت: السلام على الله، فمعناه أن الله قد يعتريه النقص، وهذا مستحيل، ولهذا لو قال إنسان: السلام على الله قلنا: لا تقل هكذا، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن الله هو السلام.

قوله ﴿الْمُؤْمِنُ﴾: لها معنيان:

الأول: أنه يؤمن من عذابه من لا يستحق العذاب، فمؤمن بمعنى مُؤْمِنٍ.

الثاني: المؤمن المصدق لرسله قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ [يوسف: ١٧]، أي بمصدق، وهذان الوصفان كلاهما حق لله



تعالى فهو تعالى يؤمن من شاء من عباده وهو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: مؤمن بالحق مصدق به، مؤمن برسله، ومؤمن بكل حق **عَزَّجَلَّ**؛ لأن الله تعالى يقر الحق ويبطل الباطل.

قوله **﴿الْمُهَيْمِنُ﴾**: أي: ذو السيطرة والحكم على كل من عاداه، فهو مهيمن على كل شيء يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ومن ذلك قوله تعالى: **﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾** [المائدة: ٤٨]، ولهذا كان كتاب الله **عَزَّجَلَّ** القرآن ناسخاً لكل ما سبقه من الكتب.

قوله **﴿الْعَزِيزُ﴾**: سبق معنى العزيز<sup>(١)</sup>.

قولة **﴿الْجَبَّارُ﴾**: الجبار صيغة مبالغة من الجبر، والجبر له ثلاثة معان: جبر بمعنى الجبروت، وجبر بمعنى جبر الكسير، وجبر بمعنى العلو.

**فالأول:** من الجبروت وهو القوة والعظمة وما أشبه ذلك.

**والثاني:** من جبر الكسير، فكم من كسير جبره الله **عَزَّجَلَّ** فالله

**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** جبار لكل كسر.

(١) انظر ص ٢٠.

**والثالث:** من العلو، وهذا المعنى قد يكون غريباً، إذ كيف يكون الجبر من العلو؟

يقول ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** في النونية: إنه مأخوذ من قولهم للنخلة الطويلة: هذه نخلة جبارة، أي طويلة، والعلو لاشك أنه من صفات الله، وإذا كان قد ثبت أنه من صفات الله، وكان للجبر الذي بمعنى العلو أصل في اللغة، فلا مانع من أن نقول: إن الجبار تشمل ثلاثة معانٍ: الجبروت، وجبر الكسير، والعلو.

و﴿الْجَبَّارُ﴾ من أسماء الله تعالى، وهي صفة كمال بالنسبة لله، وصفة نقص بالنسبة للعبد.

قوله ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾: يعني: ذو الكبرياء، وليس المعنى مصطنع الكبر، لأن «تكبر» يحتمل أن يكون بمعنى الاصطناع، أي اصطناع الكبر، ويحتمل أن تكون: وصفه الكبرياء، والثاني هو المراد، فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** متكبر أي: له الكبرياء كما قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧] وهذا الوصف بالنسبة لله حق، لكن بالنسبة للمخلوق باطل، لأن المخلوق أذل وأقل وأضعف من أن يتكبر، ولهذا قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» فالكبرياء لله

عَزَّوَجَلَّ، وأما المخلوق فليس له كبرياء.

قوله ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ أي: أنك تنزه

الله عَزَّوَجَلَّ عن كل ما لا يليق بجلاله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

و ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي عما يشركون به من الأصنام فهو عال

عليها عَزَّوَجَلَّ، منزه عن أن يكون مثلها.

قوله ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ﴾: الخالق: من اتصف بالخلق، وهو الإيجاد

بعد العدم، والإيجاد بعد العدم يسمى خلقاً، وهذا الوصف من

خصائصه عَزَّوَجَلَّ فلا خالق إلا الله. وأما ما جاء في الحديث «أحيوا ما

**خلقتهم**» فإن الخلق المضاف إلى المخلوق ليس معناه إيجاد بعد

العدم، ولكنه بمعنى تغيير وتحويل، فمثلاً الصانع يحول صفائح

الحديد إلى قدور وأوان، فيقال: خلقها قدراً، وخلقها آنية، لكنه

ليس هو الخلق المختص بالله تعالى وهو الإيجاد بعد العدم، فلا

يستطيع أحد أن يقلب حقيقة بعض الأشياء إلى حقيقة البعض

الآخر أبداً، ولا أن يوجد شيئاً من العدم، لكن يمكن للمخلوق

أن يحول شيئاً من صفة إلى صفة أخرى، فالخلق المضاف إلى

المخلوق هو بمعنى التغيير أو التحويل، وليس معناه التبديل، بل

ذلك إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله ﴿الْبَارِئُ﴾: أي: الخالق على غير مثال سبق؛ لأن الخلق قد يكون على مثال سابق، وقد يكون على مثال غير سابق، أما البارئ فهو الذي يخلق على غير مثال سبق، أي: ليس يخلق خلقاً يقلد غيره مثلاً، أو يعيد خالقاً آخر، بل هو خالق خلقاً ابتداءً وخلقاً ثانياً.

قوله ﴿الْمُصَوِّرُ﴾: يعني: جاعل الشيء على صورة معينة، وهذا -أيضاً- لا يقدر عليه إلا الله، فالذي صور بني آدم على هذا الشكل، وصور البعير على هذا الشكل، وصور الفرس على هذا الشكل، وهلم جراً، هو الله تعالى، فالله تعالى هو المصور قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: 6]، ولهذا لا يستطيع أحد أن يجعل القصير طويلاً، ولا الطويل قصيراً، نعم يمكن أن يجعل الطويل قصيراً إذا قطع رأسه ولكن إذا قطع رأسه انتهى، أما أن يقصره في خلقته فلا يمكن، فالمصور هو الله عزَّجَلَّ.

قوله ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾: له خير مقدم، والأسماء مبتدأ مؤخر، وتقديم الخبر يدل على الحصر، يعني: له لا لغيره.

وقوله ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾: يدل على أن جميع أسمائه حسنى، وحسنى: اسم تفضيل، مذكروه أحسن، أي: الحسنى التي ليس

فوقها شيء في الحسن، أما غير الله فأسماءه قد تكون حسنى، وقد تكون غير حسنى، وقد لا يكون لها معنى، لكن أسماء الله كلها حسنى.

قوله ﴿يَسْبِحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: يسبح: هذه جملة فعلية، فعلها مضارع تدل على الإستمرار، لأن «سبح» للماضي، و«سبّح» للمستقبل، و«يسبح» للحال، وقد تكون للاستقبال وجوباً، مثلما إذا اقترنت بها السين وسوف، وقد تكون للماضي وجوباً، مثل أن تقترن بها (لم) الدالة على الماضي، وقد تكون صالحة للجميع حسب السياق.

وهنا: ﴿يَسْبِحُ﴾ هل هو تسبيح انقضى، أو مازال ولا يزال؟  
والجواب: ما زال ولا يزال.

وقوله: ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: اسم موصول، واسم الموصول من صيغ العموم، فهل هذا مطابق للواقع وأن الله يسبح له ما في السموات والارض؟

الجواب: لا. لكن يقال: التسبيح نوعان، تسبيح بلسان الحال، وتسبيح بلسان المقال، أما التسبيح بلسان الحال فهو عام، كل ما في السموات فهو يسبح لله بالسان الحال، ومعنى قولنا: بلسان

الحال، أي: أن حاله تدل على تسبيح الله . فالكافر مثلاً: يسبح الله بلسان الحال، لأن خلقته وما فيها من الإبداع والنظام العجيب الغريب تسبيح لله، ولأن صرفة عن الهداية إلى الشقاء أيضاً تسبيح لله، يدل على كمال الله **عَزَّجَلَّ**، وأنه **جَلَّ وَعَلَا** يريد أن تتم كلمته، فجعل الناس مؤمناً وكافراً .

إذن: الكافر يسبح بلسان الحال، أما بلسان المقال فلا، لأنه يشرك بالله **عَزَّجَلَّ**، ويصرح بأن الله له شريك، وهلم جراً .

والجمادات تسبح لله بلسان الحال والمقال؛ والإنسان المؤمن يسبح الله بلسان الحال والمقال، فصار كل ما في السماوات والأرض يسبح الله بلسان الحال والمقال، إلا الكافر فإنه يسبح الله بلسان الحال، لا بلسان المقال .

وقوله **﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** (٢٤): سبق معنى العزيز<sup>(١)</sup> .

وأما **﴿الْحَكِيمُ﴾** فمادتها ح ك م، وهذه المادة تدل على معنيين: حُكْم، وإِحْكَام، والإِحْكَام يعني: الإِتْقَان وهو أن يكون الشيء مطابقاً للحكمة تماماً فينزل منزلته

(١) انظر ص ٢٠ .



فتبين أن ﴿الْحَكِيمُ﴾ اسم من أسماء الله تعالى مشتق من الحكم والإحكام الذي هو الإتيان<sup>(١)</sup>.



﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (السورة كاملة ثلاث مرات).

### الشرح:

ذكر في سبب نزول سورة الإخلاص: أن المشركين أو اليهود قالوا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صف لنا ربك؟ فأنزل الله هذه السورة.

﴿قُلْ﴾ الخطاب للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وللأمة أيضاً و﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن عند المعربين.

ولفظ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾ هو خبر المبتدأ و﴿أَحَدٌ﴾ خبر ثان.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ جملة مستقلة.

﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي هو الله الذي تتحدثون عنه وتسالون عنه

﴿أَحَدٌ﴾ أي: متوحد بجلاله وعظمته، ليس له مثل، وليس له

شريك، بل هو متفرد بالجلال والعظمة عَزَّجَلَّ.

(١) انظر شرح عقيدة أهل السنة والجماعة ص ٨٦ .

﴿ اللهُ الصَّمَدُ ﴾ جملة مستقلة، بين الله تعالى أنه ﴿الصَّمَدُ﴾ أجمع ما قيل في معناه: أنه الكامل في صفاته، الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته.

فقد روي عن ابن عباس أن الصمد هو الكامل في علمه، الكامل في حلمه، الكامل في عزته، الكامل في قدرته، إلى آخر ما ذكر في الأثر. وهذا يعني أنه مستغن عن جميع المخلوقات لأنه كامل، وورد أيضاً في تفسيرها أن الصمد هو الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها، وهذا يعني أن جميع المخلوقات مفتقرة إليه، وعلى هذا فيكون المعنى الجامع للصمد هو: الكامل في صفاته الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته. ﴿لَمْ يَكِدْ﴾ لأنه جَلَّ وَعَلَا لا مثل له، والولد مشتق من والده وجزء منه كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «إِنهَا بَضْعَةٌ مِنِّي»، والله جَلَّ وَعَلَا لا مثل له، ثم إن الولد إنما يكون للحاجة إليه إما في المعونة على مكابدة الدنيا، وإما في الحاجة إلى بقاء النسل.

والله عَزَّجَلَّ مستغن عن ذلك. فلهذا لم يلد لأنه لا مثل له؛ ولأنه مستغن عن كل أحد عَزَّجَلَّ. وقد أشار الله عَزَّجَلَّ إلى امتناع ولادته أيضاً في قوله تعالى: ﴿أَنِّي يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لِي صَحِيبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ



وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ [الأنعام: ١٠١].

فالولد يحتاج إلى صاحبة تلده، وكذلك هو خالق كل شيء، فإذا كان خالق كل شيء فكل شيء منفصل عنه بائن منه.

وفي قوله: ﴿لَمْ يَكِدْ﴾ رد على ثلاث طوائف منحرفة من بني آدم، وهم: المشركون، واليهود، والنصارى، لأن المشركين جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً، وقالوا: إن الملائكة بنات الله. واليهود قالوا: عزيز ابن الله. والنصارى قالوا: المسيح ابن الله. فكذبهم الله بقوله: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ﴿٣﴾ لأنه عَزَّجَلَّ هو الأول الذي ليس قبله شيء، فكيف يكون مولوداً؟!

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ﴿٤﴾ أي لم يكن له أحد مساوياً في جميع صفاته، فنفى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ وَالِدًا، أو مولوداً، أو له مثل، وهذه السورة لها فضل عظيم.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنهَا تَعْدِلُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ»، لكنها تعدله ولا تقوم مقامه، فهي تعدل ثلث القرآن لكن لا تقوم مقام ثلث القرآن. بدليل أن الإنسان لو كررها في الصلاة الفريضة ثلاث مرات لم تكفه عن الفاتحة، مع أنه إذا قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن

كله، لكنها لا تجزى عنه، ولا تستغرب أن يكون الشيء معادلاً للشيء ولا يجزى عنه.

فها هو النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أخبر أن من قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، فكأنما أعتق أربعة أنفس من بني إسماعيل، أو من ولد إسماعيل»، ومع ذلك لو كان عليه رقبة كفارة، وقال هذا الذكر، لم يكفه عن الكفارة فلا يلزم من معادلة الشيء للشيء أن يكون قائماً مقامه في الإجزاء.

هذه السورة كان الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يقرأ بها في الركعة الثانية في سنة الفجر، وفي سنة المغرب، وفي ركعتي الطواف، وكذلك يقرأ بها في الوتر، لأنها مبنية على الإخلاص التام لله، ولهذا تسمى سورة الإخلاص<sup>(١)</sup>.



(١) انظر تفسير جزء عم ص ٣٤٩ . وشرح رياض الصالحين ٤/ ٦٧٠، ٥/ ٥٤٣ . وفتح ذي الجلال والإكرام ١٥/ ٥٢١.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

### الشرح:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ رب الفلق هو الله، والفلق: الإصباح. ويجوز أن يكون أعم من ذلك أن الفلق كل ما يفلقه الله تعالى من الإصباح، والنوى، والحب. كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ [الأنعام: ٩٥]. وقال: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي من شر جميع المخلوقات ومنه النفس، لأن النفس أماراة بالسوء، فإذا قلت من شر ما خلق فأول ما يدخل فيه نفسك، كما جاء في خطبة الحاجة «نعوذ بالله من شرور أنفسنا»، وقوله: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ يشمل شياطين الإنس والجن والهوام وغير ذلك.

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ الغاسق قيل: إنه الليل. وقيل: إنه القمر، والصحيح إنه عام لهذا وهذا، أما كونه الليل، فلأن الله تعالى قال: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

والليل تكثر فيه الهوام والوحوش، فلذلك استعاذ من شر الغاسق أي: الليل.

وأما القمر فقد جاء في الحديث عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا القمر. وقال: «هذا هو الغاسق»، وإنما كان غاسقاً لأن سلطانه يكون في الليل.

وقوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ (٣) ﴿هُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى﴾ ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ (٢) من باب عطف الخاص على العام، لأن الغاسق من مخلوقات الله عَزَّ وَجَلَّ.

وقوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ (٣) أي: إذا دخل. فالليل إذا دخل بظلامه غاسق، وكذلك القمر إذا أضاء بنوره فإنه غاسق، ولا يكون ذلك إلا بالليل.

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ (٤) ﴿النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ هن الساحرات. يعقدن الحبال وغيرها، وتنث بقراءة مطلسمة فيها أسماء الشياطين على كل عقدة تعقد ثم تنث، تعقد ثم تنث، تعقد ثم تنث، وهي بنفسها الخبيثة تريد شخصاً معيناً، فيؤثر هذا السحر بالنسبة للمسحور.

وذكر الله النفاثات دون النفاثين؛ لأن الغالب أن الذي يستعمل هذا النوع من السحر هن النساء، فلهذا قال: ﴿التَّقَشَّتْ فِي الْعُقَدِ﴾ ويحتمل أن يقال: إن النفاثات يعني الأنفس النفاثات فيشمل الرجال والنساء.

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ الحاسد هو الذي يكره نعمة الله على غيره، فتجده يضيق ذرعاً إذا أنعم الله على هذا الإنسان بمال، أو جاه، أو علم أو غير ذلك. فيحسده ولكن الحساد نوعان: نوع يحسد ويكره في قلبه نعمة الله على غيره، لكن لا يتعرض للمحسود بشيء، تجده مهموماً مغموماً من نعم الله على غيره، لكنه لا يعتدي على صاحبه.

والشر والبلاء إنما هو بالحاسد إذا حسد. ولهذا قال: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾. ومن حسد الحاسد العين التي تصيب الممان يكون هذا الرجل عنده كراهة لنعم الله على الغير فإذا أحس بنفسه أن الله أنعم على فلان بنعمة خرج من نفسه الخبيثة (معنى) لا نستطيع أن نصفه لأنه مجهول، فيصيب بالعين، ومن تسلط عليه أحياناً يموت، وأحياناً يمرض، وأحياناً يُجن، حتى الحاسد يتسلط على

الحديد فيوقف اشتغاله، وربما يصيب السيارة بالعين وتنكسر أو تتعطل، وربما يصيب رفاعة الماء، أو حراثة الأرض، فالعين حق تصيب بإذن الله **عَزَّجَلَّ**، وذكر الله **عَزَّجَلَّ** الغاسق إذا وقب، والنفاثات في العقد، والحاسد إذا حسد؛ لأن البلاء كله في هذه الأحوال الثلاثة يكون خفياً. الليل ستر وغشاء.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١]. يكمن به الشر ولا يعلم به.

﴿النَّفَثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ أيضاً السحر خفي لا يعلم.

﴿حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ العائن أيضاً خفي تأتي العين من شخص تظن أنه من أحب الناس إليك وأنت من أحب الناس إليه ومع ذلك يصيبك بالعين. لهذا السبب خص الله هذه الأمور الثلاثة. الغاسق إذا وقب، والنفاثات في العقد، والحاسد إذا حسد، وإلا فهي داخلة في قوله: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾.

فإذا قال قائل: ما هو الطريق للتخلص من هذه الشرور الثلاثة؟

قلنا: الطريق للتخلص أن يعلق الإنسان قلبه بربه، ويفوض أمره إليه، ويحقق التوكل على الله، ويستعمل الأوراد الشرعية التي بها يحصن نفسه ويحفظها من شر هؤلاء، وما كثر الأمر في



الناس في الآونة الأخير من السحرة والحساد وما أشبه ذلك إلا من أجل غفلتهم عن الله، وضعف توكلهم على الله **عَزَّجَلَّ**، وقلة استعمالهم للأوراد الشرعية التي بها يتحصنون، وإلا فنحن نعلم أن الأوراد الشرعية حصن منيع، أشد من سد يأجوج ومأجوج. لكن مع الأسف أن كثيراً من الناس لا يعرف عن هذه الأوراد شيئاً، ومن عرف فقد يغفل كثيراً، ومن قرأها فقلبه غير حاضر، وكل هذا نقص، ولو أن الناس استعملوا الأوراد على ما جاءت به الشريعة لسلموا من شرور كثيرة، نسأل الله العافية والسلامة<sup>(١)</sup>.



﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

### الشرح

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١﴾ وهو الله **عَزَّجَلَّ**، وهو رب الناس وغيرهم،

(١) انظر تفسير جزء عم ص ٣٥٢. وشرح رياض الصالحين ٤/ ٦٧٠، ٥/ ٥٤٣. وفتح ذي الجلال والإكرام ١٥/ ٥٢١.

رب الناس، ورب الملائكة، ورب الجن، ورب السموات، ورب الأرض، ورب الشمس، ورب القمر، ورب كل شيء، لكن للمناسبة خص الناس.

﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ أي الملك الذي له السلطة العليا في الناس، والتصرف الكامل هو الله عَزَّجَلَّ.

﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ أي مألوههم ومعبودهم، فالمعبود حقاً الذي تأله القلوب وتحبه وتعظمه هو الله عَزَّجَلَّ.

﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴿الْوَسْوَاسِ﴾ قال العلماء: إنها مصدر يراد به اسم الفاعل أي: الموسوس.

والوسوسة هي: ما يلقي في القلب من الأفكار والأوهام والتخيلات التي لا حقيقة لها. ﴿الْخَنَّاسِ﴾ الذي يخنس وينهزم ويولي ويدبر عند ذكر الله عَزَّجَلَّ وهو الشيطان.

ولهذا إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضي النداء أقبل حتى إذا ثوب للصلاة أدبر، حتى إذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى.

ولهذا جاء في الأثر: «إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان»، والغيلان هي الشياطين التي تتخيل للمسافر في سفره وكأنها أشياء مهولة، أو عدو أو ما أشبه ذلك فإذا كبر الإنسان انصرفت.

وقوله: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ أي أن الوسواس تكون من الجن، وتكون من بني آدم، أما وسوسة الجن فظاهر لأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، وأما وسوسة بني آدم فما أكثر الذين يأتون إلى الإنسان يوحون إليه بالشر، ويزينونه في قلبه حتى يأخذ هذا الكلام بلبه وينصرف إليه..

إذن هذه السور الثلاث الإخلاص والفلق والناس من أذكار الصباح والمساء كما في حديث عبد الله بن حبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمره أن يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ في الصباح والمساء ثلاث مرات وبين أن هذا يكفيه كل شيء<sup>(١)</sup>.



(١) انظر تفسير جزء عم ص ٣٥٥ . وشرح رياض الصالحين ٤ / ٦٧٠ ، ٥٤٣ / ٥ . وفتح ذي الجلال والإكرام ١٥ / ٥٢١ .

أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق (ثلاث مرات).

### الشرح:

قوله: «أعوذ» بمعنى: ألتجئ وأعتصم.

وقوله: «بكلمات»: "كلمات" جمع قلة دال على الكثرة

لوجود الدليل، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ

قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ (الكهف: ١٠٩). وأبلغ من

هذا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ

بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِذَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ (لقمان: ٢٧).

والمراد بالكلمات هنا: الكلمات الكونية والشرعية.

وقوله: (أعوذ بكلمات الله). هنا استعاذة بالكلمات، ولم

يستعد بالله، فلماذا؟ أجيب: أن كلمات الله صفة من صفاته،

ولهذا استدل العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ بهذا الحديث على أن كلام الله من

صفاته غير مخلوق، لأن الاستعاذة بالمخلوق لا تجوز في مثل

هذا الأمر، ولو كانت الكلمات مخلوقة ما أرشد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إلى الاستعاذة بها. وفي الحديث: «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر

ما أجد وأحاذر» وهنا استعاذ بعزة الله وقدرته، ولم يستعد بالله،

والعزة والقدرة من صفات الله، وهي ليست مخلوقة. ولهذا يجوز القسم بالله وبصفاته، لأنها غير مخلوقة.

أما القسم بالآيات، فإن أراد الآيات الشرعية، فجائز، وإن أراد الآيات الكونية، فغير جائز. أما الاستعاذة بالمخلوق، ففيها تفصيل، فإن كان المخلوق لا يقدر عليه، فهي من الشرك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا يجوز الاستعاذة بالمخلوق عند أحد من الأئمة»، وهذا ليس على إطلاقه، بل مرادهم مما لا يقدر عليه إلا الله، لأنه لا يعصمك من الشر الذي لا يقدر عليه إلا الله، سوى الله.

ومن ذلك أيضاً الاستعاذة بأصحاب القبور، فإنهم لا ينفعون ولا يضررون، فالاستعاذة بهم شرك أكبر، سواء كان عند قبورهم أم بعيداً عنهم.

أما الاستعاذة بمخلوق فيما يقدر عليه، فهي جائزة، وهو مقتضى الأحاديث الواردة في «صحيح مسلم» لما ذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفتن، قال: «فمن وجد من ذلك ملجأً، فليعذ به».

وكذلك قصة المرأة التي عادت بأم سلمة والغلام الذي عاذ بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذلك في قصة الذين يستعيذون بالحرم والكعبة وما أشبه ذلك.

وهذا هو مقتضى النظر، فإذا اعترضني قطاع طريق، فعذت بإنسان يستطيع أن يخلصني منهم، فلا شيء فيه. لكن تعليق القلب بالمخلوق لا شك أنه من الشرك، فإذا عقلت قلبك ورجاءك وخوفك وجميع أمورك بشخص معين، وجعلته ملجأً فهذا شرك، لأن هذا لا يكون إلا لله.

وقوله: «التامات»: تمام الكلام بأمرين:

١. الصدق في الأخبار.

٢. العدل في الأحكام.

قال الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

وقوله: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ (٢): أي: من شر الذي خلق، لأن الله خلق كل شيء: الخير والشر، ولكن الشر لا ينسب إليه، لأنه خلق الشر لحكمة، فعاد بهذه الحكمة خيراً، فكان خيراً.

وعلى هذا نقول: الشر ليس في فعل الله، بل في مفعولاته، أي: مخلوقاته. وعلى هذا تكون «ما» موصولة لا غير، أي: من شر الذي خلق، لأنك لو أولتها إلى المصدرية وقلت: من شر خلقك، لكان الخلق هنا مصدراً يجوز أن يراد به الفعل، ويجوز أيضاً المفعول، لكن لو جعلتها اسماً موصولاً تعين أن يكون



المراد بها المفعول، وهو المخلوق.

وليس كل ما خلق الله فيه شر، لكن تستعيد من شره إن كان فيه شر، لأن مخلوقات الله تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

١. شر محض، كالنار وإبليس باعتبار ذاتيهما، أما باعتبار

الحكمة التي خلقهما الله من أجلها، فهي خير

٢. خير محض كالجنة، والرسول، والملائكة.

٣. فيه شر وخير، كالإنس، والجن، والحيوان.

وأنت إنما تستعيد من شر ما فيه شر.

فالمهم أن هذا الذكر لجوء إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** واعتصام به من شر ما خلق، فإذا قلته ثلاث مرات في الصباح والمساء فإنه لا يضرك شيء كما أخبر بذلك الصادق المصدوق، لكن إن تخلف، فهو لوجود مانع لا لقصور السبب أو تخلف الخبر.

ونظير ذلك كل ما أخبر به النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من الأسباب الشرعية إذا فعلت ولم يحصل المسبب، فليس ذلك لخلل في السبب، ولكن لوجود مانع، مثل: قراءة الفاتحة على المرضى شفاء، ويقرأها بعض الناس ولا يشفى المريض، وليس ذلك قصوراً في السبب، بل لوجود مانع بين السبب وأثره.

ومنه: التسمية عند الجماع، فإنها تمنع ضرر الشيطان للولد وقد توجد التسمية ويضر الشيطان الولد، لوجود مانع يمنع من حصول أثر هذا السبب، فعليك أن تفتش ما هو المانع حتى تزيله فيحصل لك أثر السبب.

قال القرطبي: وقد جربت ذلك، حتى إني نسيت ذات يوم، فدخلت منزلي ولم أقل ذلك، فلدغتنى عقرب<sup>(١)</sup>.



بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (ثلاث مرات).

الشرح:

هذه الكلمات كلمات يسيرة لكن فائدتها عظيمة «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم» لأن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بيده ملكوت السماوات والأرض، واسمه مبارك إذا ذكر على الشيء، ولهذا يسن ذكر الله تعالى بالتسمية على الأكل، إذا أردت أن تأكل تقول: «بسم الله»

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥ / ٥٣٩ . والقول المفيد على كتاب التوحيد ١ / ٢٥٢ .

إذا أردت أن تشرب تقول: «بسم الله» إذا أردت أن تأتي أهلك تقول: «بسم الله» فالتسمية مشروعة في أماكن كثيرة، ولكنها على القول الراجح على الأكل والشرب واجبة.

يجب على الإنسان إذا أراد أن يأكل أن يقول: «بسم الله» وإذا أراد أن يشرب أن يقول: «بسم الله» لأمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، ولأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أن من لم يسم الله على أكله شاركه الشيطان في ذلك، فلا تنس أن تقول في كل مساء وفي كل صباح «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم» ثلاث مرات.

وقوله: «وهو السميع العليم» فالسميع من أسماء الله، والعليم من أسماء الله، فالسميع من أسماء الله تعالى ولها معنيان:

الأول: السمع الذي هو إدراك كل صوت، فالله تعالى لا يخفى عليه شيء، كل صوت فالله يسمعه مهما بعد ومهما ضعف، لما أنزل الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١] وهي امرأة جاءت تشتكي إلى الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تقول: إن زوجها ظاهر منها، يعني قال لها: أنت علي كظهر أمي .

وهذا القول يعد في الجاهلية طلاقاً بائناً مثل الطلاق بالثلاث وهو كذب ومنكر، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مَنَّكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ [المجادلة: ٢] فجاءت تشتكي إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، والله لقد جاءت المجادلة إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكلمه وإني لفي الحجرة، ويخفي عليّ بعض حديثها، والله تعالى من فوق سبع سماوات يسمع كلامهما. فالله تعالى يسمع كلامك وإن خفت «ضعف» ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠] فإياك أن تسمع الله عَزَّجَلَّ كلاماً لا يرضاه منك، واحرص على أن تسمع الله ما يرضاه منك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومن معاني السميع: أنه سميع الدعاء، أي مجيب الدعاء، كما قال إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩] أي: مجيبه، فهو جَلَّ وَعَلَا يجب دعاء المضطر وإن كان كافراً، ولهذا يجب الله عَزَّجَلَّ، دعاء المضطرين في البحر، إذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فينجيهم، ويجب جَلَّ وَعَلَا دعوة المظلوم، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها

«وبين الله حجاب» ويوجب سبحانه وتعالى من تعبد له وحمده وأثنى عليه، كما يقول المصلي: «سمع الله لمن حمده» .

وأما العليم: فهو من أسمائه أيضاً، وعلم الله تعالى علم واسع محيط بكل شيء قال الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

يعلم ما في الأرحام، ومفاتيح الغيب خمس مذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤] فالله عز وجل عنده مفاتيح الغيب، ما تسقط من ورقة من شجرة إلا يعلمها، إذا سقطت ورقة في شجرة في أبعاد الفيافي، ولو كانت الورقة صغيرة فالله يعلمها، وإذا كان يعلم الساقط فهو جَلَّ وَعَلَا يعلم الحادث الذي يخلقه، فكل شيء فالله به عليم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ أنت الآن مثلاً في بلدك مستقر ولا عندك نية تسافر يميناً ولا شمالاً، فإذا أراد الله أن تموت بأرض جعل لك حاجة فيها، تحملك تلك الحاجة إلى تلك الأرض، وتموت هناك.



إذن: علم الله محيط بكل شيء حتى ما في نفسك، إذا كنت تفكر في شيء فالله يعلم ما يدور بنفسك، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْسُورًا ۖ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق: ١٦] فأياك أن تخفي في نفسك ما الله مبدية، إياك أن تخفي في نفسك ما لا يرضي الله جَلَّ وَعَلَا.

فالمهم أن هذا الدعاء مشروع في كل صباح وفي كل مساء «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم»<sup>(١)</sup>.



رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً (ثلاث مرات).

### الشرح:

قوله: (رضيت بالله رباً) يشمل: ربوبية الشرع وربوبية القدر. فربوبية القدر: أن يرضى بقضاء الله وقدره، له أو عليه. وربوبية الشرع: أن يرضى بشرع الله تعالى، أمراً كان أو نهياً.

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/٥٥٠.



والناس بالنسبة للأول - وهو الربوبية القدريّة - كلهم راضون، حتى لو سخطوا لا يجدون فكاكاً منه . أما ربوبية الشرع، فمنهم من يرضى، ومنهم من لا يرضى .

وقوله: (وبالإسلام ديناً) يخرج جميع الأديان سوى الإسلام؛ لأن غير الإسلام غير مقبول عند الله؛ قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقوله: (وبمحمد رسولاً) يعني: متبعاً، وإلا فإننا نرضى بجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام، نؤمن بهم على أنهم رسل الله، وأن ما جاءوا به حق، لكن الرسول المتبع - الذي يجب علينا اتباعه - هو محمد صلى الله عليه وسلم، أما غيره من الأنبياء، فإننا لا نتبعهم إلا حسب ما يؤذن لنا في الشريعة<sup>(١)</sup>.



أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير رب أسألك خير ما في هذا اليوم وخير ما بعده وأعوذ

(١) انظر التعليق على صحيح مسلم ١/١٧٦ .

بك من شر ما في هذا اليوم ومن شر ما بعده رب أعوذ بك من الكسل والهزم وسوء الكبر وأعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر . وفي المساء يقول أمسينا وأمسي الملك لله ويقول: رب أسألك خير ما في هذه الليلة .. إلخ بدلاً من: (أصبحنا وأصبح) وعن: (هذا اليوم).

### الشرح:

كان النبي ﷺ يذكر الله تعالى بهذا الدعاء صباحاً ومساءً، إلا أن الصيغة تختلف باختلاف الزمان فإذا أصبح قال: (أصبحنا) وإذا أمسى قال: (أمسينا) فالإصباح: يدخل من طلوع الفجر، وينتهي بارتفاع الشمس ضحى، والمساء: يدخل من صلاة العصر، وينتهي بصلاة العشاء أو قريباً منه . فالأذكار التي أريدت بالصباح والمساء هذا وقتها.

قوله: (لا إله إلا الله) يعني: لا معبود حق إلا الله، فلا معبود في الكائنات يستحق أن يعبد إلا الله عز وجل، أما الأصنام التي تعبد من دون الله فليست مستحقة للعبادة، حتى وإن سماها عابدها آلهة، فإنها ليست آلهة، بل هي كما قال الله تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ [يوسف: ٤٠]

فالمعبود حقاً هو الله **عَزَّجَلَّ**.

وقوله: (وحده لا شريك له) هذا من باب التأكيد، تأكيد وحدانيته **جَلَّ وَعَلَا** وأنه لا مشارك له في ألوهيته.


وقوله: (له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) له الملك المطلق العام الشامل الواسع، ملك السماوات والأرض وما بينهما، ملك آدميين والحيوانات والأشجار والبحار والأنهار والملائكة والشمس والقمر، كل هذه ملك لله **عَزَّجَلَّ**، ما علمنا وما لم نعلم، له الملك كله يتصرف فيه كما يشاء وعلى ما تقتضيه حكمته **جَلَّ وَعَلَا**.

«وله الحمد» يعني: الكمال المطلق على كل حال، فهو **جَلَّ وَعَلَا** محمود على كل حال في السراء وفي الضراء، أما في السراء فيحمد الإنسان ربه حمد شكر، وأما في الضراء فيحمد الإنسان ربه حمد تفويض؛ لأن الشيء الذي يضر الإنسان قد لا يتبين له وجه مصلحته فيه ولكن الله تعالى أعلم، فيحمد الله تعالى على كل حال، وكان النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إذا أتاه ما يسره قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات» وإذا أتاه ما لا يسره قال: «الحمد لله على كل حال».

قوله: «وهو على كل شيء قدير» أي: مع عموم ملكه قدرته أيضاً عامة على كل شيء، ما من موجود إلا وهو قادر على إعدامه، وما من معدوم إلا وهو قادر على إيجاده **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، ولا يستثنى من هذا شيء هو قادر على كل شيء.

الحاصل: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان يكثر من ذكر الله **عَزَّ وَجَلَّ**، على وجوه متنوعة، ومنها هذا الذكر، ومن أراد الاستزادة من هذه الأذكار فعليه بكتاب (الأذكار) للحافظ النووي **رَحِمَهُ اللَّهُ**، أو (الوابل الصيب من الكلم الطيب) لابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ**، أو غير ذلك مما ألفه العلماء في هذا الباب<sup>(١)</sup>.



اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت   
واليك النشور. وفي المساء يقول: اللهم بك أمسينا وبك  
أصبحنا وبك نموت وبك نحيا وإليك المصير.

الشرح: 

قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «اللهم بك أصبحنا»: لها معنيان: الأول:

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/٤٩٢ و٥٤٢. وفتح ذي الجلال والإكرام ١٥/٥٠٧ و٥٢٨.

أنت الذي أبقيتنا حتى أدركنا الصباح، والثاني: باعتبار الجو والفلك، فالذي أتى بالإصباح هو الله، والذي أبقى الإنسان إلى الصباح هو الله، فيكون معنى «بك أصبحنا» باعتبار بقاء الإنسان إلى الصبح، وباعتبار الإتيان بالإصباح، يقول الله عزَّجَلَّ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بَلِيلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٧٢) [القصص: ٧١-٧٢]، وقال الله عزَّجَلَّ: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

فالمعنى: لولا أنت ما بقينا إلى الصباح، ولولا أنت ما جاء الإصباح.

قوله: (وبك أمسينا) نقول فيه: مثل ما قلنا في (بك أصبحنا).  
قوله: (وبك نحيا) حياة الإنسان في الصباح، أو في المساء، أو فيما بين ذلك، بالله عزَّجَلَّ، لولا أن جاد الله لك بالغذاء والهواء واللباس ما بقيت أبداً، فبقاؤك بالله عزَّجَلَّ.

قوله: (وبك نموت): أي: أنت الذي تميتنا.

فإن قال قائل: وماذا لو قتل الإنسان؟

قلنا: حتى إذا قتل الذي أخرج روحه هو الله **عَزَّجَلَّ**، وكم من إنسان أصيب بحادث مميت ومع ذلك يبقى، فالموت بيد الله، والحياة بيد الله.

قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (وإليك النشور): يعني نشور الخلائق يوم القيامة، حين تنشر إلى الله، وتحشر إلى الله **عَزَّجَلَّ**، وذكر النشور هنا مناسب؛ وذلك لأن الإنسان إذا أصبح فقد بعث من موت، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام: ٦٠]، فكان ذكر النشور هنا مناسباً تماماً.

قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (وإليك المصير): المصير المرجع؛ لأن آخر النهار كآخر دنيا الإنسان، يكون مقبلاً على موت النوم، أو على وفاة النوم على الأصح، وهذا يشبه مصير الإنسان إلى ربه عند موته<sup>(١)</sup>.



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/ ٥٣٩. وفتح ذي الجلال والإكرام ١٥/ ٥٢٨.



اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز  
والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة  
الدين ومن قهر الرجال.

### الشرح: ❁

قوله: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن) الحزن لما مضى  
والهم لما يستقبل، والإنسان إذا كان حزيناً فيما مضى مهتماً لما  
يستقبل فإنه يتنكد عيشه، لكن إذا كان لا يهتم إلا بحاضره ويستعد  
لمستقبله على الوجه الذي أمر به كان ذلك من طمأنينته، فكان  
الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعيد بالله من الهم والحزن، كثير من الناس  
تجده يهتم اهتماماً عظيماً للمستقبل، اهتماماً لا داعي له، فتتنكد  
عليه حياته ويتعب، وإذا وصل إلى حد الفعل وجده سهلاً، وكثير  
من الناس أيضاً لا ينسى ما مضى فيتجدد له الحزن فيتعب.

قوله: (وأعوذ بك من العجز والكسل) العجز عدم القدرة،  
والكسل عدم الإرادة، وذلك أن الإنسان إذا لم يفعل فيما لعجزه  
عن الفعل لمرض، أو كبر أو غيره، وإما لعدم عزيمته وإرادته،  
فكان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعيد بالله من العجز والكسل.

قوله: (وأعوذ بك من الجبن والبخل) الجبن هو الشح بالنفس وألا يكون الإنسان شجاعاً فلا يقدم في محل الإقدام، وأما البخل فهو الشح بالمال، لا يبذل المال بل يمسكه حتى في الأمور الواجبة لا يقوم بها.

قوله: (وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) فالدين - والعياذ بالله - هم بالنهار وسهر بالليل، والإنسان المدين يقلق ويتعب، ولكن بشرى للإنسان أنه إذا أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، وإذا أخذها يريد إتلافها أتلفه الله . فإذا أخذت أموال الناس بقرض أو ثمن مبيع أو أجره بيت أو غير ذلك وأنت تريد الأداء أدى الله عنك، إما في الدنيا يعينك حتى تسدد، وإما في الآخرة، صح ذلك عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أما المتلاعب بأموال الناس والذي يأخذها ولا يريد أداءها ولكن يريد إتلافها فإن الله يتلفه والعياذ بالله<sup>(١)</sup>.



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٦/ ٣١ . وفتح ذي الجلال والإكرام ١٥/ ٥١٧ .

اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن اغتال من تحتي.

### الشرح:

قوله: «اللهم إني أسألك العافية في ديني»: يقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخاطب ربه **عَزَّجَلَّ**: «اللهم إني أسألك العافية في ديني»، والدين كلما تقرب به العبد إلى ربه **عَزَّجَلَّ**، والعافية في الدين تشمل شئيين:

١. الشيء الأول: العافية من الشبهات.
٢. الشيء الثاني: العافية من الشهوات.

فأما العافية من الشبهات فتعني أن الله تعالى يمن عليك بالعلم، الذي هو نور تهتدي به، ولا يلتبس عليك الحق بالباطل، ولهذا جاء في الدعاء المأثور:

«اللهم أرني الحق حقًا وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلاً وارزقني اجتنابه، ولا تجعله ملتبساً علي فأضل».

أما العافية من الشهوات فهو أن يسأل ربه أن يعافيه من الإيرادات السيئة؛ لأن الإنسان قد يكون عنده علم لكن ليس عنده إرادة حسنة، يعرف أن هذا باطل، ولكن لا يمتنع عنه، يعرف أن هذا حق ولكن لا يفعله.

فعدنا الآن مثلان:

المثل الأول: رجل وقع في باطل وهو لا يعلم، فنوع بلائه من الشبهات.

ورجل آخر: وقع في باطل يعلم أنه باطل لكن نفسه دعت إليه، فهذا بلاؤه من الشهوات.

إذن: مدار الضلال على هذين الأمرين، إما الجهل وإما الهوى، فإذا سألت الله العافية فإنك تسأل الله في الواقع علماً، وتسأله هدى وتوفيقاً.

والعافية في الدنيا: أن الله تعالى يعافيك من الأسقام والأمراض الجسدية؛ حتى تصبح معافي تستطيع أن تقوم بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: «وأهلي»: هذا من عافية الدنيا، أن يعافيك الله تعالى في أهلك، بمعنى أن يجعل أهلك في طاعتك، وفي توجيهك، وأن يقيهم لك، وأن لا يكدر صفوك فيهم بمرض أو عاهه أو ما أشبه ذلك.

قوله: «ومالي»: فتسأل الله أن يعافيك في مالك، بأن يحفظه وبقية الآفات، سواء أن كانت الآفات بفعل الله **عَزَّوَجَلَّ**، أو بفعل مخلوق يسرق ويخون، وما أشبه ذلك.

قوله: «اللهم استر عوراتي»: استر بمعنى غط، والعورة ما يقبح من قول أو عمل، وسترها أن يواربها الله **عَزَّوَجَلَّ** عن أنظار الناس فلا يسمعون قولاً يسوء ولا يرون فعلاً يسوء.

قوله: «وآمن روعاتي»: أي اجعلني آمناً عند الروعات، والروع هو الخوف؛ لقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ﴾ [هود: ٧٤].

والإنسان لاشك أنه يقع في قلبه مخافة طبيعية عادية، فيسأل الله تعالى أن يؤمن هذا الروع، وإبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** أصيب بالروع، وموسى أصيب بالروع، ومحمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أصيب بالروع أول

ما جاءه الوحي وضمه جبريل، ولكن هذا الخوف والروع ليس خوف العبادة ولا الخوف الذي يستلزم ترك ما أمر الله به ورسوله.

قوله: (واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي) هذه خمسة جهات.

قوله: (وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي) هذه السادسة، وهذا يدل على أن العذاب الذي يأتي من تحت أشد وأعظم، ولهذا اعتصم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعظمة الله أن يغتال من تحته من الشياطين، من الجن، من الخسف، وما أشبه ذلك.

ومعنى أغتال: يعني أهلك، والاعتغال هو القتل بغير استعداد له بأن يقتل على غفلة، ووجه ذلك أن الإنسان إذا جاءه الشر من بين يديه، أو من خلفه، أو عن يمينه، أو عن شماله، أمكنه الفرار من فوقه، وربما يمكنه إذا شاهد أسباب العذاب أو ما أشبه ذلك يمكنه أن يختبئ، لكن إذا جاءه من تحته وخسف به وهو غافل لا يحس بشيء صار هذا أشد.

وعلى كل حال: كان الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا يترك هذه الكلمات، وهذه الكلمات مقيدة بالصباح والمساء<sup>(١)</sup>.

(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام ٥٠٦/١٥.



اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

### الشرح:

هذا سيد الاستغفار كما في حديث شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري.

قوله: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ»: يعني أشرفه، والاستغفار هو طلب المغفرة بأي صيغة تكون، سواءً كانت بقول: «اللهم اغفر لي»، أو بقول: «أستغفر الله»، أو بقول: «اللهم يا غفار»، أو ما أشبه ذلك، والمغفرة: هي طلب العفو والتسامح عن الذنب، وستر الذنب أيضاً؛ وأخذنا هذين المعنيين - وهما العفو والستر - من الاشتقاق؛ لأن المغفرة مشتقة من المغفر، والمغفر ما يوضع على الرأس من حديد أو نحوه؛ اتقاء السهام، ففيه ستر، وفيه وقاية.

قوله: «اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت»: هذا فيه إثبات الربوبية وإثبات الألوهية.

قوله: «خلقتني» هذا فعل من مقتضى الربوبية؛ لأن معنى الربوبية أنه خالق مالك مدبر، فيقول العبد: «أنت ربي»، ثم يقول: «خلقتني».

قوله: «وأنا عبدك» عبدك كوناً وشرعاً؛ لأن هذا القول من مؤمن، فأنا عبدك كوناً تفعل بي ما شئت، وأنا عبدك شرعاً، أقوم بأمرك، وأدع نهيك.

فإن قيل: البعض يقول أن المرأة لا تقول «عبدك»؟

قلنا: من العلماء من يقول المرأة تقول: «وأنا أمتك»، ومنهم من يقول: المرأة تقول: «وأنا عبدك» اتباعاً للفظ، وهي في الحقيقة عبدٌ لله باعتبار الشخص، لا باعتبار الأمة، فكلمة «شخص» مذكر، ومثله: «عبدك ابن عبدك ابن أمتك»، فهل تقول المرأة: «أنا عبدك ابن عبدك»، أم تقول: «أنا أمتك بنت عبدك»؟

الجواب: المرأة تقول: «وأنا أمتك، وأنا على عهدي ووعدك ما استطعت»،

وهذا أقرب إلى الصواب؛ لأن إبقاء اللفظ: «وأنا عبدك» يحتاج إلى تأويل، وأما «وأنا أمتك» فلا يحتاج إلى تأويل؛ لأنها حقيقة أمة الله **عَزَّجَلَّ**؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح: **«لا تمنعوا إمام الله مساجد الله»**.

قوله: «وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت»: عهدك أي ميثاقك، ووعدك أي وعدك بالثواب، ففي الأول التزام بالعمل، وفي الثاني إيمان بالجزاء، لأن الله أخذ علينا العهد والميثاق بما أعطانا من العلم والعقل، وبما بعث إلينا من الرسل أن نؤمن به ونعبده على وعده بالثواب والجزاء، أي أنني مصدق بالوعد، ففي هذا إيمان وعمل صالح، فالعهد يتضمن العمل الصالح، والوعد يتضمن الإيمان، ولكنه قال: «ما استطعت» أي مدة استطاعتي أو مهما استطعت، فعلى الأول تكون (ما) مصدرية ظرفية، وعلى الثاني تكون (ما) شرطية وجوابها محذوف، أي: ما استطعت فأنا فاعل، والاستطاعة هي القدرة، ومنه قوله تعالى عن الحواريين، حيث قالوا: **﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾** (المائدة: ١١٢)، وهي مأخوذة من الطاعة؛ لأن الطاعة معناها فعل الشيء عن انقياد واختيار.

وقوله: «ما استطعت»: هل هو للترخيص، أو للتشديد؟ فهي تحتمل هذا وهذا، إنما هي تدل على أن الإنسان لا بد أن يقوم بالعهد بقدر الاستطاعة، وأن ما وراء الاستطاعة ليس مكلفاً به، ومثلها قوله تعالى: ﴿فَأَنقُوهُ اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن: ١٦)، أي هينة من وجه، وشديدة من وجه آخر، فمن جهة أن الإنسان لا بد أن يستنفذ جهده في فعل الطاعة تكون شديدة، ومن جهة أنه لا يكلف فوق طاعته تكون يسيرة.

قوله: «أعوذ بك من شر ما صنعت»: بضم التاء، أي: أعتصم بك من شر ما صنعت، أي من الذنوب، فإن الذنوب كلها شر، وموجبة للعقوبة، إلا أن يعفو الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أبوء لك بنعمتك علي»: بمعنى أترف لك، أي لله عَزَّوَجَلَّ، بنعمتك علي، وقوله: «أبوء لك» أبلغ عن قول: أبوء بنعمتك، لأن هذا تخصيص وتنصيب على الشكر لله عَزَّوَجَلَّ والاعتراف بنعمه.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وأبوء لك بذنبي»: أي أترف لك بذنبي، و(ذنب) هنا مصدر مضاف، فيكون عاماً لكل الذنوب، والاعتراف بالذنب، يعني سؤال المغفرة، ولهذا قال: «فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر

الذنوب إلا أنت»: اغفر لي: يعني اعف عن عقوبتي، واستر عليّ؛ لأن المغفرة مأخوذة من المغفر، وهو متضمن لشيئين: الستر والوقاية، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، هذا إقرار واعتراف بأن الخلق مهما اجتمعوا على أن يغفوا ذنباً واحداً ما استطاعوا؛ لأن الأمر على الله **عَزَّوَجَلَّ**، فلا يغفر الذنوب إلا الله، فهذا في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٥)، أي: لا أحد يغفرها إلا الله **عَزَّوَجَلَّ** (١).



اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وأن اقترف على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم.

الشرح: 

هذا من الأذكار التي تقال في الصباح والمساء والذي علمها النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أبا بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** حيث قال: علمني، فعلمه النبي

(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام ١٥ / ٤٩٨، وشرح رياض الصالحين ٦ / ٧١٦.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكراً ودعاء يدعو به كلما أصبح وكلما أمسى، يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قل: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه» «قل: اللهم فاطر السماوات والأرض» يعني: يا الله يا فاطر السماوات والأرض، وفاطرهما يعني: أنه خلقهما عَزَّجَلَّ على غير مثال سابق بل أبدعهما وأوجدهما من العدم على غير مثال سبق «عالم الغيب والشهادة» أي: عالم ما غاب عن الخلق وما شاهدوه؛ لأن الله تعالى يعلم الحاضر والمستقبل والماضي.

«رب كل شيء ومليكه» يعني: يا رب كل شيء ومليكه، والله تعالى هو رب كل شيء، وهو مليك كل شيء، والفرق بين الرب والمالك في هذا الحديث، أن الرب هو الموجد للأشياء الخالق لها، والمليك هو الذي يتصرف فيها كيف يشاء «أشهد أن لا إله إلا أنت» أعترف بلساني وقلبي أنه لا معبود حق إلا أنت، فكل ما عبد من دون الله فإنه باطل لا حق له في العبودية، ولا حق في العبودية، إلا لله وحده عَزَّجَلَّ.

«أعوذ بك من شر نفسي» لأن النفس لها شرور، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ۗ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ



رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ [يوسف: ٥٣]. فإذا لم يعصمك الله من شرور نفسك فإنها تضرك وتأمرك بالسوء، ولكن الله إذا عصمك من شرها، وفقك إلى كل خير.

«ومن شر الشيطان وشركه» وفي لفظ «وَشَرِكِهِ» يعني تسأل الله أن يعيدك من شر الشيطان ومن شر شركه، أي: ما يأمرك به من الشرك، أو «شَرِكِهِ»، والشَرِكُ ما يصاد به الحوت والطيور وما أشبه ذلك؛ لأن الشيطان له شَرِكٌ يصطاد به بني آدم، إما شهوات أو شبهات أو غير ذلك.

«وأن أقترف على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم» أقترف يعني أجر على نفسي سوءاً «أو أجره إلى مسلم» فهذا الذكر أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر أن يقوله إذا أصبح وإذا أمسى وإذا أخذ مضجعه (١).



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/ ٥٤٠.

📖 لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو

على كل شيء قدير (مائة مرة) في الصباح والمساء.


### 🌟 الشرح:

قوله: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير». سبق أن أوضحنا معاني هذه الكلمات عند قوله: (أصبحنا وأصبح الملك لله).

من قال في يومه مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، كما جاء في الحديث، حصل له هذه الفضائل الخمس:

أولاً: كان كمن أعتق عشر رقاب، وثانياً: كتبت له مائة حسنة، وثالثاً: حطت عنه مائة خطيئة، ورابعاً: كانت له حرزاً من الشيطان، وخامساً: لم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا من عمل أكثر مما عمل. وهذه سهلة، يمكن وأنت تنتظر صلاة الفجر بعد أن تأتي للمسجد تقولها في طريقك أو بعد طلوع الفجر تقولها تتفجع بها، وهذا أيضاً من الأمور التي ينبغي للإنسان أن يداوم عليها وينبغي أن يقولها في أول النهار لتكون حرزاً له من الشيطان<sup>(١)</sup>.

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/٤٨٨ و ٥٤٣.

سبحان الله وبحمده (مائة مرة) في الصباح والمساء . أو فيهما جميعاً. 

الشرح: 

إذا قال الإنسان سبحان الله وبحمده مائة مرة حين يصبح ومائة مرة حين يمسي لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا من عمل أكثر مما عمل، وهذا الذكر «سبحان الله وبحمده» معناه أنك تنزه الله **عَزَّجَلَّ** عن كل ما لا يليق بجلاله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وتثني عليه بل وتصفه بصفات الكمال، وذلك في قولك: «وبحمده» فينبغي للإنسان إذا أصبح أن يقول: «سبحان الله وبحمده مائة مرة» وإذا أمسى أن يقول: «سبحان الله وبحمده مائة مرة» وذلك ليحوز هذا الفضل الذي ذكره النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

إذن: «من قال: سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر» كما ورد، وهذه سبحان الله وبحمده تقولها: في آخر النهار لأجل أن تحط عنك خطايا النهار، فانتهاز الفرصة يا أخي انتهاز الفرصة، العمر يمضي ولا يرجع ما مضى من عمرك فلن يرجع إليك وهذه الأعمال أعمال خفيفة مفيدة ثوابها جزيل وعملها قليل، نسأل الله أن يعيننا وإياكم على

ذكره وشكره وحسن عبادته<sup>(١)</sup>.



﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ 

﴿١٢٩﴾ (سبع مرات).

✦ الشرح:

قوله: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أي: كافيني الله.

قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، أي: لا معبود حق حقيق بالعبادة سوى الله عزَّجَلَّ.

قوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، عليه: جار ومجرور متعلق بتوكلت، وقدم للحصر. والتوكل: هو الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة به، وفعل الأسباب النافعة.

وقوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ مع قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فيها جمع بين توحيد الربوبية والعبودية، والله تعالى يجمع بين هذه الأمرين كثيراً، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/٥٣٩، وفتح ذي الجلال والإكرام ١٥/٤٦٦.

قوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (١٣٩)، الضمير يعود على الله سبحانه. و﴿رَبُّ الْعَرْشِ﴾، أي: خالقه، وإضافة الربوبية إلى العرش وإن كانت ربوبية الله عامة تشریفاً للعرش وتعظيمًا له.

ومناسبة التوكل لقوله: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، لأن من كان فوق كل شيء ولا شيء فوقه، فإنه لا أحد يغلبه، فهو جدير بأن يتوكل عليه وحده.

وقوله: ﴿الْعَرْشِ﴾ فسرهُ بعض الناس بالكرسي، ثم فسرو الكرسي بالعلم، وحينئذ لا يكون هناك كرسي ولا عرش، وهذا التفسير باطل، والصحيح أن العرش غير الكرسي، وأن الكرسي غير العلم، ولا يصح تفسيره بالعلم، بل الكرسي من مخلوقات الله العظيمة الذي وسع السماوات والأرض، والعرش أعظم وأعظم، ولهذا وصفه بأنه عظيم بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (التوبة: ١٢٩)، وبأنه مجيد بقوله: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ (١٥) [البروج: ١٥] على قراءة كسر الدال، وبأنه كريم في قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (المؤمنون: ١١٦)، لأنه أعظم المخلوقات التي بلغنا علمها وأعلاها لأن الله استوى عليه<sup>(١)</sup>.

(١) انظر القول المفيد على كتاب التوحيد ١/ ٤٤٢.

استغفر الله وأتوب إليه. (مائة مرة).

الشرح:

الاستغفار: هو طلب المغفرة، وما من إنسان إلا وهو خطاء كما قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» والخطأ الذي يصدر من بني آدم: إما تقصير في واجب، أو فعل لمحرم ولا يخلو الإنسان من ذلك، ولكن دواء الذنوب الاستغفار - والحمد لله - وفي الأثر: «أن الشيطان يقول: أهلكت بني آدم يعني بالخطايا والذنوب وأهلكوني بـ» لا إله إلا الله والاستغفار» فالاستغفار سبب للمغفرة، ولذا أمر الله تعالى به في آيات كثيرة من القرآن، منها قول الله تعالى لنبيه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩] فأمر الله تعالى نبيه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن يعلم بأنه لا معبود حقاً إلا الله، وأمره أن يستغفر فقال: «واستغفر لذنبك» هذا وهو النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أمر أن يستغفر لذنبه، وكذلك أثني الله تعالى على المستغفرين في آيات كثيرة ومنها: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧] وهم الذين يستغفرون الله في آخر الليل،



قال العلماء: وذلك أنهم يتهجّدون ويعبدون الله ويرون أنهم مقصرون فيسألون الله المغفرة، هذا مع أنهم مجتهدون قائمون الليل، ومع ذلك يستغفرون خوفاً من التقصير، فينبغي للإنسان أن يكثر من استغفار الله **عَزَّوَجَلَّ**.

وهناك أيضاً أحاديث تحت على الإكثار من الاستغفار فمنها: حديث الأغر المزني **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «**إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مئة مرة**» رواه مسلم، ف قوله: **(إنه ليغان على قلبي)** يعني يحدث له شيء من الكتمة والغم وما أشبه ذلك **(وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة)** يقول: أستغفر الله، في اليوم مائة مرة!

هذا وهو النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر! فكيف بنا!! ولكن قلوبنا قاسية ميتة لا يغان عليها بكثرة الذنوب ولا يهتم الواحد منا بما فعل، ولذلك تجد الإنسان غير مبال بمثل هذا، وقليل الاستغفار.

والذي ينبغي للإنسان أن يكون له أسوة حسنة في رسول الله

صلى الله عليه وسلم يكثر الاستغفار كما قال ابن عمر رضي الله عنهما: «إننا نعد للنبي صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة أو أكثر: رب اغفر لي وارحمني» وكذلك أخبر صلى الله عليه وسلم أن من نعمة الله على العباد أنه إذا ابتلاهم بالذنوب فاستغفروا الله غفر لهم وأنه قال: «لو لم تذبوا لذهب الله تعالى بكم، ثم جاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم» وهذا حث على أن يستغفر الإنسان ربه ويكثر من الاستغفار؛ لأنه ينال بذلك درجة المستغفرين الله عز وجل وكذلك أخبر فيما رواه أبو داود: «أن من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب» والأحاديث في فضل الاستغفار والثناء على أهله والحث عليه كثيرة، فعليك يا أخي بكثرة الاستغفار، أكثر من قول: اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، أستغفر الله وأتوب إليه، وما أشبه ذلك لعلك تصادف ساعة إجابة من الله عز وجل فيغفر لك فيها<sup>(١)</sup>.

وقوله: (وأتوب إليه) التوبة شرعاً: الرجوع من معصية الله

تعالى إلى طاعته.

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٦/٧١٢.

وأعظمها وأوجبها التوبة من الكفر إلى الإيمان، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨]، ثم يليها التوبة من الكبائر؛ كبائر الذنوب. ثم المرتبة الثالثة: التوبة من صغائر الذنوب. والواجب على المرء، أن يتوب إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من كل ذنب.

### ■ وإذا تاب الإنسان إلى ربه حصل بذلك فائدتين:

**الفائدة الأولى:** امتثال أمر الله ورسوله؛ وفي امتثال أمر الله ورسوله كل الخير. فعلى امتثال أمر الله ورسوله تدور السعادة في الدنيا والآخرة.

**والفائدة الثانية:** الاقتداء برسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**. حيث كان **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يتوب إلى الله في اليوم مائة مرة؛ يعني: يقول: أتوب إلى الله، أتوب إلى الله... والتوبة لا بد فيها من صدق، بحيث إذا تاب الإنسان إلى الله أقلع عن الذنب.

أما الإنسان الذي يتوب بلسانه وقلبه مُنطَوٍ على فعل المعصية، أو على ترك الواجب. أو يتوب إلى الله بلسانه، وجوارحه مُصِرَّة على فعل المعصية؛ فإن توبته لا تنفعه، بل إنها أشبه ما تكون

بالاستهزاء بالله عزَّوَجَلَّ! نسأل الله أن يتوب علينا وعليكم، وأن يهدينا وإياكم صراطاً مستقيماً. والله الموفق (١).



(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ٨٦.